Journal of Research in Comparative Literature
https://jccl.razi.ac.ir/

Print ISSN: 2676-6515
Online ISSN: 2676-6523

Research article

Research in Comparative Literature (Arabic and Persian Literature)
Razi University, Vol. 11, Issue 3 (43), Autumn 2021, pp. 127-141

Afag Aladab Almogaran in the Light of Criticism

Hadi Nazari Monazam[1]
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran

Received: 05/21/2018 **Accepted:** 03/08/2020

Abstract

The theory of comparative literature is a new theory, because its philosophy is based on the study of literature beyond the boundaries of language, culture and interdisciplinary. Comparative literature first appeared in France and other Western countries, and entered the Third World Universities from the second half of the twentieth century. Dr. Ghonaimi (1968) is the founder of comparative literature in Arab countries. Later in the field of comparative literature, many scholars such as Tahir Maki, Saeed Allush, Ezzedin al-Muna'sra, Hesam al-Khataib and others emerged. Hesam al-Khataib can be considered the largest and most accomplished Arab matchmaker. He follows the developments of the comparative literature more than other compatriots and has the most information and documentation on comparative literature in international and Arabic arenas. This article, by a descriptive-analytical and critical method, is attempting to discuss briefly the comparative literature and Hesam al-Khataib and introduces one of Hesam al-Khataib's most important books entitled as *Afag Aladab Almogaran Arabian va Alemian*. This book addresses the international and Arab worldviews of comparative literature. In this book, Khatib offers an evolved approach based on personal expertise and experience in teaching, writing, and attending Arabic and international conferences. He also corrects issues related to the history of comparative literature in Arab countries and he seeks to establish a link between Arabic comparative literature and world experiences. He introduces the scientific and cognitive experience of the Arabs from this knowledge, from the mid-thirties of the last century to the early nineties, and tries to give an Arab perspective in this field; a vision that includes a diligent and sincere effort to promote comparative Arabic literature. In conclusion, he reviews and critiques some books of Arabic theory. Therefore, this book is one of the best Arabic works in the field of comparative literature.

Keywords: *Afag Aladab Almogaran Arabian va Alamian*, ComparativeLiterature, Hesam al-Khataib.

1. **Email:** hadi.nazari@modares.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد للطباعة: ۶۵۱۵-۲۶۷۶
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ۶۵۲۳-۲۶۷۶

بحوث في الأدب المقارن
https://jccl.razi.ac.ir/

مقالة محكّمة

بحوث في الأدب المقارن (الأدبين العربي والفارسي)
جامعة رازي، السّنة الحادية عشرة، العدد ۳ (۴۳)، خريف ۱۴۴۳، صص. ۱۲۷-۱۴۱

آفاق الأدب المقارن عربيّاً وعالميّاً في مرايا النّقد

هادي نظري منظم[۱]

أستاذ مشارك في قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كلّيّة العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرّس، طهران، إيران

الوصول: ۱۴۳۹/۹/۵ **القبول:** ۱۴۴۱/۷/۱۳

الملخّص

نظرية الأدب المقارن نظرية حديثة من حيث كونه لوناً من البحث الأدبي تقوم فلسفته على دراسة الأدب خارج حدوده اللغوية والثقافية والمعرفية. وقد دخل الأدب المقارن العلمي جامعات العالم الثالث منذ منتصف القرن العشرين فصاعداً. ويعتبر غنيمي هلال (المتوفى ۱۹۶۸) مؤسس الأدب المقارن العلمي في الأقطار العربية، كما شهدت المقارنة العربية لحدّ الآن باحثين كباراً منهم مثلا الطاهر مكي وسعيد علوش وعزالدين المناصرة وحسام الخطيب، وهذا الأخير من أكبر المقارنين العرب وأوفرهم نشاطاً ومتابعةً لتطور الأدب العالمي المقارن، وأكثرهم حيازةً للمعلومات والوثائق المتعلّقة بالأدب المقارن على الصعيدين العالمي والعربي. وهذا المقال باعتماد المنهج الوصفي- التحليلي والاهتمام النّقدي بالجانبين الشكلي والمضموني يتناول كتابه *آفاق الأدب المقارن عربيّاً وعالميّاً* بالدراسة. ويقدّم الخطيب في هذا الكتاب نظرةً متكاملةً تعتمد على خبرته في مجالات التدريس والتأليف وحضور المؤتمرات العربية والدولية، ويصحّح فيه بعض القضايا المتعلّقة بتاريخ الدراسات المقارنة في البلدان العربية كما يحاول أن يصل بين الأدب العربي المقارن والتجربة العالمية، ويُقدّم عَرضاً للتجربة المعرفية الّتي باشرها المقارنون العرب منذ منتصف الثلاثينيات إلى مطلع التسعينيات ويسعى لصياغة وجهة نظر عربية في الأدب المقارن تنطوي على سعي جادّ ومخلص لخدمة الارتقاء بالأدب المقارن العربي، وفي الختام يتناول بالدرس والنقد عدداً من الكتب العربية الّتي عُنيت بالجانب النظري للأدب المقارن. فالكتاب من أفضل المؤلّفات العربية في مجاله.

المفردات الرّئيسية: الأدب المقارن، حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيّاً وعالميّاً.

۱. العنوان الإلكتروني: hadi.nazari@modares.ac.ir

١. المقدّمة

١-١. إشكالية البحث

ترجع نشأة الأدب المقارن العلمي إلى القرن العشرين، حين ظهرت بعض الكتب و الدراسات الّتي تضع الأسس العلمية لهذا الفرع الأدبي الحديث. وكان الفرنسيون رُوّاد هذا اللون من البحث، منهم بول فان تييغم[1] وفرنان بالدنسبرجر[2] وجان ماري كاريه[3] و... .

ولم يكن العرب بمعزل عن المقارنة منذ طلوع الدين الإسلامي وانتشاره في الشرق الأوسط، لكنهم بدراساتهم الساذجة وغير المنهجية آنذاك كانوا يرمون إلى معرفة الشعر الأفضل أو الشاعر الأشعر وحسب. (غزول، ١٣٩٣: ٥٠-٥١)

ومنذ منتصف القرن العشرين دخل الأدب المقارن جامعات العالم الثالث أيضا، وكان العرب من جملة من عُنُوا بالتأليف فيه على الصعيدين النظري والتطبيقي، واهتموا بتدريسه أيضاً في جامعاتهم لكن دون أن تَدعمه فلسفة واضحة ولا تخطيط علمي صحيح. يقول غنيمي هلال عن بدايات دخول الأدب المقارن في الجامعات العربية: «نشأته لم تكن نتيجة لحركة فكرية، واتجاهات فلسفية، و منحى علمي، ومنهج نقدي عميق، ودعوات نظرية يؤمن أصحابها أن هذا العلم ضرورة مُلحّة...، كما كان شأنه لدى كتّاب الغرب وفلاسفتهم ومفكريهم... وإنما أريد بالأدب المقارن آنذاك أن يوضَع في منهج الجامعات دون استعداد له أو وقوف على حقيقته؛ فقامت دراسات مقارنة -كما يُسمّيها أصحابها- ليست من الأدب المقارن في شيء، أساء بها أصحابها إلى مفهوم الأدب المقارن»(هلال، لا. تا: ٨٥- ٨٦).

وفي أواخر منتصف القرن العشرين ظهرت ترجمة الأدب المقارن لفان تييغم، وهذا الكتاب أول كتاب منهجي عن نظرية الأدب المقارن، وقد«كان لها أوسع تأثير في تشكيل الذهن المقارني العربي واتكأ عليها معظم مدرسي الأدب المقارن وطلابه في الجامعات العربية» (الخطيب، ١٩٩٩: ١٩١). كما تولى اثنان من أعلام الأدب الفرنسي المقارن التدريس بالجامعات المصرية في هذه الفترة، أحدهما جان ماري كاريه، الّذي«عمل قبل الحرب العالمية الثانية أستاذا للأدب الفرنسي في جامعة القاهرة لسنوات طويلة» (مكي، ١٩٨٧: ٧٧) والثاني هو رينيه اتيامبل، الّذي قام بالتدريس في قسم اللغة الفرنسية بجامعة الإسكندرية ونشر بعض المقالات حول الأدب المقارن في مجلة الكاتب المصري، وقد أصبح الأستاذان فيما بعد مقصداً لكثير من الطلبة والطالبات ممن غادروا مصر إلى باريس للتخصص في الأدب المقارن وأشرفا على رسائلهم الجامعية (عامر، ١٩٨٩: ٨٠).

وفي أوائل الخمسينيات من القرن الماضي تخرّج محمد غنيمي هلال من جامعة السوربون، و تولّى تدريس الأدب المقارن في دار العلوم منذ عام ١٩٥٣، وفي العام نفسه «أصدر كتابه الأدب المقارن مشفوعاً بتأكيدات تخصصية عريضة، وبإلغائية كاملة للتجارب الّتي سبقته، وملتزماً دروس أساتذته الفرنسيين مثل فان تييغم وغويار وجان ماري كاريه» (الخطيب، ١٩٩٩: ٢٣٤). ومن الحقّ أنّ الكثيرين في الوطن العربي قد تأثّر بهذا الكتاب وبحماسة مؤلّفه الكبيرة؛ ولا غرو؛ فغنيمي هلال بإجماع الآراء «أوّل متخصص- بمعنى الكلمة- في الدرس المقارن، على خلاف سابقيه، الّذين كانوا يعتمدون على رصيدهم الثقافي العام، بدل الرصيد الثقافي الخاص» (علوش، ١٩٨٧: ٢١١)؛ وقد ظلّ هو المتخصص الوحيد في الأدب المقارن العربي إلى عام ١٩٥٧، وفيه «عاد أنور لوقا وعطية عامر من السوربون إلى مصر بعد أن تتلمذا على جان ماري كاريه وخضعا لتأثيره الكبير» (عامر، ١٩٨٩: ٨٢).

وفي السبعينيات من القرن العشرين«بدأ المفهوم الأمريكي يظهر إلى جانب المفهوم الفرنسي لتخرّج أساتذة من جامعات

1. P.V.Tieghem
2. Baldensperger
3. J.M. Carre'

إنجليزية أو أمريكية، ثم لظهور مؤلّفات أمريكية في الأدب المقارن عرفت شهرة واسعة... ولكن المفهوم الفرنسي بقي ثابتا لاعتماد الكثير من الّذين ألفوا كتبا في هذه المرحلة على كتاب محمد غنيمي هلال» (حنون، ١٩٨٤: ٣٥).

والفضل في إدخال المفهوم الأمريكي للأدب المقارن في الأقطار العربية يعود إلى حسام الخطيب[١]، الّذي نتناول كتابه *آفاق الأدب المقارن عربيّاً وعالميّاً* بالنقد والتقويم في ما يلي:

١-٢. الضّرورة، الأهمّيّة والهدف

إنّ النّقد البنّاء هو عملية تقديم آراء صحيحة ووجيهة حول عمل الآخرين، والّتي تنطوي عادة على تعليقات إيجابية وسلبية ولكن بطريقة ليست جارحة. وفي الأعمال الأدبية، غالباً ما يكون هذا النوع من النّقد أداة قيمة للارتقاء بمعايير الأداء والمحافظة عليها. والنقد البناء يتصدّى للأعمال الأدبية القيّمة، كما يتصدّى للأعمال الرّديئة الّتي تنتشر كالفطر على رفوف المكتبات وتقتحم كبريات معارض الكتب العربية أو تحجز أحيانا مكانة مرموقة لها في الفعاليات الثقافية الضخمة، هذا إن لم تشقّ طريقها نحو الجوائز الأدبية ذات الطابع والهوية العالميَّين. وإذا زال النّقد فكارثة الأعمال الرديئة ستهدد ثقافتنا، وتهين تراثنا الأدبي والفكري، ويَظهر الإحباطُ الّذي ينجم عن غياب التحدي العلمي الحقيقي والمحاسبة والتقييم.

ظاهرة الكتب السّيئة هي الظّاهرة السّائدة في ثقافتنا المعاصرة في ظلّ عدم وجود حركة نقدية قوية تقف لها بالمرصاد وتغربل الجيد من الرديء وتنصف المبدع الحقيقي وتكشف الزائف، وتوفّي كلَّ امرئ حقه. فالأدب بعامة والأدب المقارن العربي في حاجة ماسة إلى التقييم والتسآل والنقد البناء كي يتمكن من التغلب على العراقيل والصعوبات ويمهد الطريق لنفسه نحو الرقي والتطور.

والأدب المقارن قد أخذ عند حسام الخطيب «صيغة قضية عُمر رفيعة وليس مجرد تخصص أكاديمي ومهنة دنيوية يومية» على حدّ قوله. فمن واجب الدارسين أن يراجعوا أعماله ويسجّلوا ملاحظات عينية على كتبه المختلفة في مجال الأدب المقارن، وهذا ما يهدف إليه كاتب هذه السطور في هذا المقال.

١-٣. أسئلة البحث

- ما هي أهم المآخذ والإيجابيات الموجودة في الكتاب المدروس في الجانبين الشكلي والمضموني؟
- ما هي مكانة الكتاب المدروس في قائمة الكتب النظرية العربية في مضمار الأدب المقارن؟

١-٤. خلفيّة البحث

لم تنجز لغاية الآن دراسة خاصة عن كتاب آفاق الأدب المقارن عربيّاً وعالميّاً في الأقطار العربية، والمقال الوحيد الّذي تناول أعمال الخطيب المقارنية بالدرس هو ما كتبه تورج زيني وند بالاشتراك مع روژين نادري والمقال قد نشر سنة ١٣٩٤ هـ.ش في مجلة «ادبيّات تطبيقي» الّتي يصدرها مجمع اللغة الفارسية بايران وعنوانه: «جايگاه حسام الخطيب در ادبيّات تطبيقى جهان عرب»[٢]. والمقال محاولة جيدة للتعريف ببعض الآثار المقارنة للمؤلّف في مضمار الأدب المقارن وبيان ميزاتها. كما تحدث عبدالنبي اصطيف عن مكانة الخطيب وأشاد ببعض أعماله المقارنة، في صفحات من كتابه العرب والأدب المقارن.

١-٥. منهجية البحث والإطار نظري

يعتمد البحث المنهج الوصفي - التحليلي ويُعنَى بنقد الكتاب على الجانبين الشكلي والمضموني.

٢.عرض الموضوع

٢-١. نبذة عن كتاب *آفاق الأدب المقارن*

كان مسلسل التأليف فى الأدب العربي المقارن الذى تَوالَى بعد ظهور الأدب المقارن لغنيمي هلال تلبيةً مباشرةً لمتطلّبات

التدريس الجامعي ومقتضياته. وفي محاولة لنشر الوعي المقارني وتوسيع أفق المقارنة العربية وربط هذا الأفق بالتطورات العالمية نشر الخطيب كتاب «آفاق الأدب المقارن» تلبيةً لحاجة الدارسين والأكاديميين العرب إلى مصدر يأخذ التطورات العلمية والمعرفية الجديدة في الحسبان، ويغطّي حقولاً نظريةً أغفلت كلياً أو جزئياً في الكتب العربية السابقة. فـ«الغاية من مسعى الخطيب هذا في التعريف بتجارب الأمم الأخرى في الأدب المقارن كان الارتقاء بالتفكير النظري العربي والممارسات التطبيقية العربية في هذا الميدان، حيث يستقيم مساره في الثقافة العربية» (اصطيف، ٢٠٠٧: ١٧٧).

وصدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عن دار الفكر بدمشق وبيروت سنة ١٩٩٢، وقد أتى–كما يشير المؤلّف في المقدّمة–كتاباً جديداً تطوّر عن الكتاب الّذي سبقه قبل عشر سنوات من ذلك التاريخ (١٩٨١) بعنوان: الأدب المقارن: ج ١ النظرية، ج ٢ التطبيق، ولم تكن إعادة طباعة لكتاب قديم[٣]. ثم أجرى المؤلّف تعديلاتٍ واستدراكات وإضافات محدودة عليه، وأصدره ثانية سنة ١٩٩٩ في الدار المذكورة. وقد حرص المؤلّف حرصاً شديداً على أن يقف الكتاب في ملاحظاته عند أوائل التسعينيات ولا يتجاوزها.

للكتاب على الأقل طبعتان صادرتان عن دار الفكر، الأولى لون الغلاف فيها وردي وفي الوسط يقع اسم الكتاب والمؤلّف في أسفله، تليه صورة الكرة الأرضية على الجانب الأيمن أمّا الطّبعة الجديدة فاسم المؤلّف يقع في الجزء العلوي، تليه صورة الكرة الأرضية وعلى الجانب الأيسر منها اسم الكتاب باللون الأزرق واسم الناشر على الجانب الأيسر، والغلاف مزيج من مختلف الألوان كالبرتقالية واللون الأصفر والأزرق. والغلاف الخلفي يتضمن معلومات عامة عن دار الفكر وسنة تأسيسه (١٩٥٧) ورسالتها ومنهاجها وخدماتها ومنشوراتها وفي الأسفل يقع عنوان دار الفكر. أمّا بطاقة الكتاب فتشتمل على الرقم الاصطلاحي والرقم الدولي والرقم الموضوعي والموضوع والعنوان والتأليف والصف التصويري والتنفيذ الطّباعي وعدد الصفحات وقياس الصفحة وعدد النسخ، يليها اسم الناشر وعنوانه، ثم فهرس المحتوى ومقدّمة الطبعة الثانية ثم مقدّمة الطبعة الأولى. يقع الكتاب في ٣٣٦ صفحة وعددُ نُسَخها ١٥٠٠ نسخة وقياس الصفحة ١٧*٢٥ سم أي إنه من المقاس المتوسط؛ وضعه في أربعة أبواب وعالج فيه معضلة الأدب المقارن، ربما في آخر تطوراتها في التسعينيات. تحدث في الباب الأول عن أهم القضايا المتعلّقة بنظرية المقارنة، كمعضلة الأدب المقارن، المتمثّلة في البحث عن المنطق الخاص للأدب المقارن، و تحديد المنطقة النوعية والوظيفة النوعية له، وتعرض للمفهومات الرئيسة للأدب المقارن، والنظرات الأمريكية للخروج من المعضلة باتجاه الانفتاح؛ والفصل الأخير من هذا الباب خصّصه للأدب المقارن في منظور عربي وحاول أن يصل بين الأدب العربي المقارن والتجربة العالمية. ثم يقدّم عَرضاً للتجربة المعرفية الّتي يباشرها المقارنون العرب منذ منتصف الثلاثينيات، وينبش وقائعَ جوهريةً في نشأة الأدب العربي المقارن ويُعرّج على تاريخ المقارنة العربية ويصحّح تاريخه النظري والتطبيقي ويتناول كثيراً من الكتب النظرية العربية بالدرس والنقد العلمي المنصف، ثم يزوّد كتابه بمُلحق وثائقي يحتوي ببليوغرافيا حولية للمؤلّفات النظرية في الأدب العربي المقارن، وقائمة عن ترجمات الأدب المقارن إلى العربية، وفهرس العدد الأول من مجلة دفاتر جزائرية في الأدب المقارن، وتوصيات الملتقى التحضيري للمقارنين العرب، وأسماء الأعضاء المؤسسين للرابطة العربية للأدب المقارن وتوصيات الملتقى الأول للمقارنين العرب وكذلك مقال «ايتامبل» في مجلة الكاتب المصري (١٩٤٨)؛ فلا غنى لأيّ دارس عن قراءة هذا الكتاب ومراجعة أبحاثه النظرية وتقاريره العلمية. والكتاب منذ صدوره حتى اليوم لاقى اهتماماً ملحوظاً وصدًى إيجابياً واسعاً في الأوساط الأدبية والجامعات العربية، وقد كثُرت الإشارات والإحالات إليه باعتباره مرجعا أساسيا عن الأدب المقارن وآفاقه عربيّاً وعالمياً. يقول اصطيف عن هذا الكتاب: «يُعَدّ بحق أفضل مدخل للمدرسة الأمريكية في الأدب المقارن تَيسَّر للقارئ العربي حتى يومنا هذا، وأكثرَ التواريخِ العربية تسامياً للكمال للأدب

العربي المقارن في القرن العشرين، فضلا عن صياغة وجهة نظر عربية في الأدب المقارن تنطوي على سعي جاد ومخلص لخدمة قضية الأدب المقارن في الوطن العربي، قضية عمر الباحث، الخطيب الّذي نرجو أن يكون مديدا، مُحمَّلاً بالثمر الطيب الجنيّ الّذي تتوق إليه الأجيال العربية دوماً» (اصطيف، ٢٠٠٧: ١٧٨).

٢-٢. دراسة الجوانب الشكلية للكتاب

٢-٢-١. الإيجابيات

- الحجم المناسب للكتاب: الكتاب قد زود بكثير مما سبق ذكره رغم هذا كله فعدد صفحاته يبدو مناسبا.
- قلة الأخطاء الكتابية والإملائية وسلامة الطباعة منها إلا في القليل النادر.
- ذكر أقسام أي باب في بدايته وترقيم العناوين الفرعية.
- مراجعة المؤلّف للعديد من المصادر المتعلّقة بالأدب المقارن.
- تزويد الكتاب بمُلحق وثائقي يحتوي ببليوغرافيا حولية للمؤلّفات النظرية في الأدب العربي المقارن، وقائمة عن ترجمات الأدب المقارن إلى العربية، وفهرس العدد الأول من مجلة دفاتر جزائرية في الأدب المقارن، وتوصيات الملتقى التحضيري للمقارنين العرب، وأسماء الأعضاء المؤسسين للرابطة العربية للأدب المقارن وتوصيات الملتقى الأول للمقارنين العرب وكذلك مقال «ايتامبل» في مجلة الكاتب المصري (١٩٤٨).

٢-٢-٢. المآخذ الشكلية

رغم المزايا الكبيرة الّتي يتصف بها كتاب «آفاق الأدب المقارن» كانطلاق المؤلّف فيه مثلا من منظور إشكالي، على خلاف معظم الدارسين العرب في مجال الأدب المقارن (زيني‌وند ونادري، ١٣٩٤: ١٨٥) فإن المرء قد يجد فيها بعض المآخذ أو الهفوات الشكلية أو المضمونية، ومثل هذه المآخذ البسيطة موجودة في كل محاولة إنسانية، منها ما يلي:

- عدم تحديد الهدف العام من تأليف الكتاب: إن عملية تحديد الأهداف هي حجر الأساس الّذي تبني عليه الخطوات اللاحقة، وكلما كانت الأهداف محددة وواضحة تمكن المؤلّف من تحقيقها بسهولة ويسر. لكن المؤلّف الكريم قد أهمل الحديث عن ذكر الأهداف العامة من تأليف الكتاب.
- عدم سلامة الطباعة من بعض الأخطاء المطبعية: منها مثلا ما ورد في الصفحة ١١٩: (ICLA) والصحيح هو (AILC) (العلامة المختصرة للرابطة الدولية للأدب المقارن). وقد تكرر نفس الخطأ المطبعي في الصفحة ١٢٠. ومنها أيضا: ماريلماريوس (الخطيب، ١٩٩٩: ١٩٣) وهو خطأ مطبعي آخر والصحيح: ماريوس. وفي الصفحة ٢٥٢ (السطر الرابع): «للدراسين»، والصحيح: للدارسين؛ ومنها ما نلاحظه في الصفحة ٢٩٥، في قوله: «يستعير المؤلّف توقيفية ...» وقوله: «خير مثال لهذه المحاولة التوقيفية» والصحيح: توفيقية!
- عدم تزويد الكتاب بـ «قراءات ومصادر مساعدة»: وكان من الأفضل أن يشير المؤلّف إلى عدد من المصادر الّتي تساعد الدارسين، وتزودهم بمعلومات أخرى وذلك لكي يتحقق الهدف من استيعاب الأبواب والفصول بصورة أفضل.
- عدم تزويد الكتاب بالنشاطات المتصلة بالبحث وأسئلة التقويم الذاتي.
- عدم تقديم خلاصة علمية في نهاية كل باب ولمحة مسبقة عن الأبواب التالية: والاستثناء الوحيد من هذا الحكم هو الفصل الرابع من الباب الأول وقد زوده بخلاصة علمية نافعة.
- بعض الاضطراب في الإحالات: ونظام الإحالات قد يعاني بعض الاضطراب أو يفتقر إلى بعض الدقة، كقوله مثلا (المصدر

نفسه: ١٩٥، ٢٤٤، ٢٥١ و...): سابق، والأصح: المصدر السابق (معرف بالـلام). وهناك إهمال في ذكر رقم الصفحة (المصدر نفسه: ٢٥٦، الهامش ٢).

ولدى حديثه عن كتاب عبدالسلام كفافي، يقول (المصدر نفسه: ٢٥٣): و في هذا الكتاب (الأدب المقارن)، وهكذا أورده في فهرس المراجع العربية؛ والأصح: «في الأدب المقارن». وثمة أيضا الخطأ في ذكر السنة الّتي ظهر فيها كتاب بديع محمد جمعة «دراسات في الأدب المقارن». ففي الهامش من الصفحة ٢٦٠ ورد عام ١٩٧٨(وهذا هو الصحيح)، بينما وردت سنة الطبع فى السطر الأخير من الصفحة ٢٦١ عام ١٩٨٧.

٢-٣. الجوانب المضمونية

٢-٣-١. الإيجابيات

- وهي عديدة منها: لغتُه العلمية، ووعيُه التامّ لما هو مقدّم عليه، وروحه الناقدة والجادة، وانطلاقه من المنظور الإشكالي في الأدب المقارن وحديثه الدقيق عن مكامن الضعف والقصور في الأوساط الأدبية والعلمية، ومثل هذه المزايا تتجلى بوضوح للمتابعين لأعمال الخطيب ولاسيما للكتاب المدروس.

والخطيب لا يظهر بمظهر المدافع عن المفهوم الفرنسي التقليدي ولا المفهوم الأمريكي للأدب المقارن، ولكنه يحاول أن يقدّم حلّاً مبدئياً يتناسب مع اتجاهات التفكير المقارني الحديث عند العرب وعلى المستوى العالمي. فالمعروف أن الفرنسيين كانوا يُصرّون على أننا «ينبغي أن نُفرِغ كلمة «مقارنة» من كل دلالة فنية ونَصُبّ فيها معنى علميا» (علوش، ١٩٨٧: ٧٠). أي إنهم كانوا يرصدون الصلات الواقعية والعلاقات التاريخية بين الآداب ويُهملون الاهتمام بجماليات الأثر الأدبي. غير أن الخطيب يرى أنه«من خلال نظرة مرنة غير مُتزمتة لا شيء يمنع من دخول الأدب المقارن في حدائق التذوق الجمالي والاستمتاع الفني والبحث في الصورة الأدبية والخيال والأسلوب والمعجم اللغوي للكاتب وموسيقا النص وما قد يوجد من أوزان عروضية أو أنساق خاصة في ترتيب الكلام وكذلك البحث في الشخصية الروائية وفي قيمها وفي البناء الفني للأعمال القصصية وفي كل ما يَمُتّ إلى ذلك بصلة... بشرط ألا يَحُلّ الأدب المقارن محل النّقد الأدبي» (الخطيب، ١٩٩٩: ٨٦).

ومهما يكن من أمر الخلاف بين المقارنين، فالمهم عند الخطيب«أن يستطيع الأدب المقارن المحافظةَ على تماسكه الداخلي بوصفه نسقاً معرفياً ذا شخصية خاصة تظهر مؤشرات واضحة باتجاه التجاوب مع روح العصر ومناخ الثقافة الإنسانية المشتركة» (المصدر نفسه: ٨٨). فاحتفاظ الأدب المقارن بتماسكه الداخلي واهتمامه بالقضايا الإنسانية الكبرى هما الشغل الشاغل عند الخطيب.

- إخلاصه التام للحقيقة العلمية، وشدة إنصافه وتدقيقه في الأحكام الّتي يُطلقها. على سبيل المثال -لا الحصر- نشير إلى انصافه لرواد المقارنة الفرنسيين وتبرئتهم من بعض التُهم كتركيزهم على الآداب الأوروبية ومن قوله في هذا: «على أن الإنصاف يقتضي أن يعترف المرء أن المقارنين الفرنسيين الأوائل كانوا رواد علم أدبي جديد وكانت لهم حماستهم المشروعة أيضا. وكذلك كانت المرحلة التاريخية الّتي نشأ تفكيرهم المقارني في إطارها مرحلة سيادة كاملة لأوربة على عالم ثالث غارق في التخلف، ولم يكن هناك أي أساس للتبادل الثقافي. وفي أبسط الأحوال كان من الطبيعي أن يبدأ هؤلاء بمقارنات آدابهم الّتي يعرفونها قبل غيرها. وهناك ما يشير إلى أنهم من الناحية النظرية على الأقل لم يكونوا غافلين عن رسالة الأدب المقارن في الانفتاح الإنساني وفي تبديد سحب النرجسية القومية والمحلية الّتي كانت —ومازالت- تسيطر على أذهان الناس في كل بلد وأذواقهم». (المصدر نفسه: ٤٤).

ويقول أيضا إنهم عالجوا «ما كان ذا أولوية خاصة لهم، و لاسيما من ناحية العلاقات الأوربية- الأوربية (فرنسا، بريطانيا،

ألمانيا، إسبانيا، اليونان إلخ...) وكانوا أكثر اهتماما بالحاضر، لأن التبادلات في عصرنا الحاضر تكتسب أهمية خاصة في تشكل الآداب القومية» (المصدر نفسه: ٨٤).

والحق أن مثل هذا التعاطف مع رُوّاد المقارنة ومؤسسيها يكاد يكون معدوما في أكثر الكتب والدراسات المقارنة، العربية منها على الأقل. و مردّ ذلك أن الخطيب ناقد محنك ومقارِن رفيع التخصص يُقَدّر الظروفَ التاريخية لنشأة المدرسة الفرنسية التقليدية ولا يُغرَى بشعارات كانت تَعني ضمنياً إلغاءً لفكرة الأدب المقارن، ثم إنه لايظهر بمظهر المدافع عن نظرية دون أخرى، و لكنه يتقبل الاعتراضات و الملاحظات بشيء من الاقتناع، والروح العلمية البارزة.

وما أشبه هذا الموقف بموقف المقارن الإيراني المبرز جواد حديدي (المتوفى ٢٠٠٢ م) الّذي يقول: «الحقيقة أن المقارنين القدماء كانوا يَجهلون اللغات غير الأوربية وكان اعتمادهم الرئيس في التعرف إلى آداب تلك اللغات على الترجمات. إذاً فمن الطبيعي أن يركّز هؤلاء على دراسة الآداب الأوربية الّتي يعرفونها قبل غيرها» (حديدي، ١٣٥١: ٦٩٥).

ويحمّل الخطيب، الناقد «ولك» مسؤوليةَ الاضطراب الكبير الّذي يعاني منه المفهوم الأمريكي للأدب المقارن بقوله: «يبدو أن انفساحيةَ فكره ونقضِه لكل مفهومات الأدب المقارن السابقة له والمعاصرة هي المسؤولة عن أن الأدب المقارن في الثقافة الأنكلوسكسونية ظل إلى عهد قريب رَجراجاً غامضَ الحدود وتنطوي تحت اسمه دراساتٌ أدبية و أبحاث نقدية لا يكاد يجمعها جامع. وهذا ما يفسر عُزوفَ الجامعات البريطانية عن تخصص الأدب المقارن» (الخطيب، ١٩٩٩: ٤٩).

ومن جيد أقوال الخطيب في الحفاظ على فكرة الأدب المقارن و تبيين أهمية البحث في التأثيرات قوله: «وإذا أردنا أن نتجاوز النظرة الضيقة التقليدية، فإننا لا نتجاوزها بالخروج عن نظرية الأدب المقارن أو إلغائها، ولكن بتوسيع منطقة البحث تاريخيا لتشمل العصور الماضية الّتي كانت فيها أوربة مستوردة للأفكار الأدبية والعلمية على السواء» (المصدر نفسه: ٨٤).

ومن الأمثلة على ما سبق أن ذكرناه إشادته بالمؤلّف المصري طه ندا (المتوفى ١٩٩٩) لموقفه من المقارنين الفرنسيين الأوائل. يقول الخطيب: «ولطالما تمنى المرء أن ينحو الباحثون العرب هذا المنحى بتقديم وجهات نظر أو إسهامات درسية مقابلة بدلا من الاتهام والسلبية». (المصدر نفسه: ٢٥٥، الهامش ١)

ولدى حديثه عن الأدب المقارن في أوربا الشرقية يوجّه انتقادا لزميله المغربي سعيد علوش الّذي يتحدث في كتابه عن «مدرسة سلافية» في الأدب المقارن ويُنظّر لها ويمنحها شرعيةَ مدرسة (انظر: علوش، ١٩٨٧: ١٢٧– ١٤٣). يقول الخطيب: «ولا نعتقد إلا أن المقصودين بهذه المدرسة يخجلون من هذا التفخيم. وهم جميعا جادون ولكنهم يتعرضون لصعوبات فكرية غير يسيرة في بحثهم المضني عن طريقهم الخاص. ويتساءل المرء عن تقاليد الدرس المقارن: هل ترسخ ببضع مقالات وبسنة واحدة هي سنة ١٩٧٤؟!» (الخطيب، ١٩٩٩: ١١٥).

ويأخذ الخطيب على علوش انبهارَه ببضع مقالات اشتراكية وقولَه بوجود مدرسة سلافية فى الأدب المقارن، ومردّ ذلك أن علوش هذا «تناول باستخفافٍ حوالي عشرين مؤلّفا عربيا ولم يجد فيها ملامح مدرسة، مع أنه لو استعمل التعاطف نفسه الذى أضفاه على المقالات الاشتراكية الأربع أو الخمس الّتي استعان بها لأمكنه إقامة بنيان مدرسة عربية مماثلة في أقل تقدير للبنيان الذى أقامه للمدرسة الاشتراكية» (المصدر نفسه: ١١٥–١١٦، الهامش ٣).

والكتاب حافل بمثل هذا الإنصاف والتدقيق العلمي.

– التزامه التام بالأمانة العلمية ورعاية حقوق الآخرين: ويتجلى هذا في عناية المؤلّف بالإحالات وبما يقتبسه أحيانا من عبارات سائر الدارسين. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أنه لدى استخدامه لمصطلح «التجارة الخارجية للآداب» (المصدر نفسه: ٢٠)

يأتي في الهامش على ذكر صاحبه بقوله: «حقوق هذه التسمية محفوظة لرينيه ولك وأوستن وارين».

ويعتبر الخطيب إهمال المؤلّفين العرب للإحالات ظاهرة مهمة وخطيرة للغاية. من هنا يوجه نقدا بناء إلى الطاهر مكي ومن ينهجون نهجه بقوله: «والأهم من ذلك كله والأخطر أن الدكتور مكي قرّر منذ البدء التخلي عن ادعاءات الإحالة والمرجعية، ومن النادر أن تجد فيه إحالة إلى مصادر المعلومات الغزيرة الغنية الّتي يقدمها. إنه يتدفق كالسيل مارّاً ببلدان وقارات وظواهر وآراء وتعريفات وأقوال مقبوسة بحرفيتها دون أن يشير إلا نادراً وفي حالات غريبة إلى مصادر معلوماته» (المصدر نفسه: ٢٩٢). ثم يضيف الخطيب: «نؤكّد التقدير العالي للمجهود المبذول في هذا الكتاب؛ ولكن نُعبّر عن خشية من أن تكون المؤسسة الأكاديمية العربية (ذات التخصص الأدبي على الأقل) تفضّل الرجوع إلى الطرق الجاحظية بعد كل تلك الأشواط الّتي قطعها البحث الأدبي العربي». وهذا إن دلّ على شيء فعلى حرص المؤلّف البالغ على التوثيق والإحالات وتدقيقه في المادة العلمية المعروضة.

– المؤلّف يتناول الأدب الأمريكي المقارن من خلال حجة الأدب المقارن في أمريكا وشيخه هنري رماك[1]، بينما تحدّث معظم الدارسين العرب عن النظرية الأمريكية من خلال رينيه ولك[2]، الّذي كان متخصصا في النّقد والتاريخ الأدبي، ولم يكن متخصصا في الأدب المقارن كنظيره رماك.

– وقوفه عند روّاد النهضة العربية الأوائل والكشف عن دورهم الريادي في المقارنة العربية:

ومن هؤلاء مثلا سليمان البستاني مترجم الإلياذة وشارحها، وروحي الخالدي، وعبدالوهاب عزام، وقد توقّف الخطيب عند الأول واعتبر ترجمته هذه ومقدّمتها«أول محاولة جادة متخصصة في الأدب العربي الحديث للاتصال بالآداب الأوربية» (المصدر نفسه: ١٥٥) لكنه يرى أن البستاني «في جميع مقارناته اكتفى بالإشارة إلى أوجه التشابه بين الشعرين العربي واليوناني وحاول إرجاع هذه المشابه إلى تشابه الإقليمين العربي واليوناني ومراحل التطور لدى المجتمعين، ولكن لم يُوحِ أبداً بوجود أي تبادل أو تأثر أو تأثير بينهما، وبذلك وقّر على نفسه الدخول في أحكام متعسفة لم يَنجُ منها بعضُ من أتى بعده من الباحثين الأدبيين» (المصدر نفسه: ١٥٩–١٦٠).

ويعتبر جهده وجهود من عاصره أو خلفه «مجرد بواكيرَ وتمهيدات مبدئية لظهور العمل الأول الّذي يستحق أن يعتبر الرائد الأول للأدب العربى المقارن التطبيقى وهو كتاب روحي الخالدي» (المصدر نفسه: ١٦٧). والمراد بهذا الكتاب «تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب و فيكتور هوكو». ويتوقف الخطيب وقفة مطولة مع الخالدي باعتباره رائدَ البحث التطبيقي المقارن في الأدب العربي ويوفيه حقه من العناية في هذا الكتاب المدروس وفي كتابه المعنون: «روحي الخالدي رائد الأدب العربي المقارن» (عمان، ١٩٨٥).

– مراجعة دور الريادة لفخري ابوالسعود وتصحيح هذه النسبة: اعتادت المصادر الّتي أرخت للأدب العربي أن تنسب لفخري ابوالسعود الريادةَ في الأدب العربي المقارن. غير أن الخطيب قد صحح في كتابه المدروس هنا، ما ذكرته المصادر المقارنية من ريادة فخري أبوالسعود في مجال استخدام مصطلح الأدب المقارن، ونسب الريادة إلى خليل هنداوي بقوله: «خلافاً لكل ما نشر سابقا في هذا الموضوع، يتبين من مراجعة الدوريات العربية ذات الاتجاه الأدبي منذ أوائل القرن العشرين إلى منتصفه، أن أول استعمال محدد لمصطلح «الأدب المقارن» ظهر بقلم خليل هنداوي (حلب– سورية) على صفحات مجلة الرسالة المصرية بتاريخ ٨/ ٦/ ١٩٣٦ من خلال العنوان الطويل التالي: «ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي: «اشتغال العرب بالأدب المقارن...» (المصدر نفسه: ١٩٧– ١٩٨).

1. Remak
2. Wellek

والخطيب تكبد عناء مراجعة عدد كبير من الدوريات العربية المختلفة للتأكد من صحة هذا الحكم.

– عنايته نظريا على الأقل بالأدب الإسلامي: والاهتمام بالأدب الإسلامي المقارن جديد، يعود إلى منتصف القرن العشرين، ومن رُوّاده وأعلامه عبدالوهاب عزام ومحمد غنيمي هلال، ولاسيما طه ندا وحسين مجيب المصري والطاهر مكي. ويعتبر طه ندا أول من نادى بالأدب الإسلامي المقارن وأبدى تحمسا شديدا له متمنيا أن يتم التواصل بين الشعوب المسلمة بالوصل بين لغاتهم وآدابهم. ولهذا يرى البعض أنه«يرسي–ولأول مرة– مفهوم الأدب الإسلامي المقارن على نحو يتميز بالدقة والاستيعاب والموضوعية». (عناني ورمضان، ١٩٨٨: ٤٦؛ للتفصيل انظر: پرويني، ٢٠١٠: ٥٥–٨٠؛ زيني‌وند، ١٣٩٥)

ويدعو الخطيب إلى الأدب الإسلامي ويعتبر تجربة الأدب الإسلامي أو آداب الدول الإسلامية«من أغنى التجارب في تاريخ التفاعلات الأدبية العالمية، إذ ولّد التلاقح بين الثقافة العربية وثقافات البلدان الآسيوية والإفريقية المسلمة آدابا جديدة مزدوجة الشخصية كانت بصمات الأدب العربي فيها شديدة الوضوح من ناحية الموقف الفكري والنفسي والخيال الأدبي والشكل الفني والاستعمال اللغوي مما يوفر تربة خصبة شديدة الغنى لدارسي الأدب المقارن... وإن البحث المقارني هو الكفيل بإضاءة كل هذه الجوانب الممتلئة بالدروس الغنية في مجال التلاقح والتفاعل بين الأدب العربي والآداب المجاورة» (الخطيب، ١٩٩٩: ٨٥).

– إشارته العلمية الطريفة إلى السر وراء الإقبال العربي الهائل على المقارن الفرنسي فان تييغم دون تلميذه غويار: يرى الخطيب أن ترجمة كتاب الأدب المقارن لمؤلّفه فان تييغم «كان لها أوسع تأثير في تشكيل الذهن المقارني العربي واتكأ عليها معظم مدرّسي الأدب المقارن وطلابه في الجامعات العربية» (المصدر نفسه: ١٩١). وهذا الكلام ذو أهمية كبيرة؛ إذ إنه يكشف إلى حد ما عن سرّ انبهار الدارسين والمقارنين العرب فيما بعد بالمدرسة الفرنسية حتى يومنا هذا. ولا شك أن هناك أسبابا أخرى وراء هذا الانبهار، منها على سبيل المثال أسبقية المدرسة الفرنسية، وتواجد بعض المقارنين الفرنسيين في مصر لتدريس الأدب المقارن والأدب الفرنسي (جان ماري كاريه واتيامبل و...)، وإرسال البعثات الجامعية إلى فرنسا للتخصص في الأدب المقارن، والاستعمار الفرنسي لبعض الأقطار العربية وبالتالي اهتمام المستعمرات بالأدب الفرنسي ولغته وكل ما يظهر في فرنسا من ألوان المعرفة الأدبية والنظريات، ومعظم المقارنين العرب–كما هو معروف – قد تخرّجوا في الجامعات الفرنسية أو الجامعات المحلية الّتي تحذو حذو تلك الجامعات.

لكن الطريف أن ترجمة «الأدب المقارن» للفرنسي غويار لم تجد قبولا عامّا في الادبيّات المقارنة العربيّة وكانت تأثيرها محدودا، ومردّ ذلك عند الخطيب أن«فان تييغم ظلّ المستند الأول عند أتباع المدرسة الفرنسية من جهة، ولأن الترجمة– من جهة أخرى– أتت مشحونةً بالأغلاط المطبعية ومفتقرة إلى أية مسحة شكلية مقبولة» (المصدر نفسه: ١٩٣).

– إشارته المهمة إلى مكانة كتاب «الأدب المقارن» لغنيمي هلال ومقالته عن ذلك: والكتاب ظهر عام ١٩٥٣، ويرى الخطيب أنه «يمكن أن يُعدّ في صدارة قائمة أكثر الكتب العربية المعاصرة تأثيرا في الفكر العربي. ولو اقتصر الكلام على الكتب المتخصصة ذات الموضوع المفرد لكان كتاب غنيمي هلال، الأول أو الثاني في القائمة» (المصدر نفسه: ٢٣٩).

وهذه الإشارة العلمية المهمة –إلى جانب ما سبق ذكره– تجعلنا ندرك السر وراء ازدهار المفهوم الفرنسي للأدب المقارن في الوطن العربي.

ومن المعلومات القيمة في الكتاب هو أن هلال«أول عربي– مشرقي على الأقل كتب عن الأدب العربي المقارن بلغة أجنبية. وتقف مقالته «دراسات الأدب المقارن في الجمهورية العربية المتحدة» وحيدةً في الكتاب السنوي للأدب المقارن الّذي تُصدره الرابطة الأمريكية للأدب المقارن. وهي مقالة قصيرة نشرت عام ١٩٥٩» (المصدر نفسه: ٢٤٢)؛ كما يرى الخطيب أنه «حتى

عام ١٩٨٨ وابتداء من الخمسينات لا يَرد في الكتاب السنوي أية مادة عن الأدب العربي سوى مادة غنيمي هلال المشار إليها (١٩٥٩) ومادة أخرى للتوتنجي قصيرة تتضمن بشكل رئيسي عرضاً لجهود غنيمي هلال نفسه لا أكثر» (المصدر نفسه: ٢٤٢، الهامش ١).

– إشارته الطريفة إلى عدم تلقي «غنيمي هلال» التقدير الكافي في مصر:

يذكر الخطيب أن غنيمي هلال لم يتلقَّ التقدير الكافي في موطنه مصر، «ربما بسببه تداخل النزعات الإيديولوجية والموقفية والشخصية من جهة، وبسبب الحملة (العقائدية السياسية) الّتي شُنّت على المدرسة الفرنسية من جهة أخرى» (المصدر نفسه: ٢٤٢، الهامش ٢).

– إشاراته الدقيقة إلى بعض تحديات الأدب المقارن العربي: ومنها قوله:

«يودّ المرء أن يشير إلى عامل مُثبّط، بل قاتل، هو الإحباط الّذي ينجم عن غياب التحدي العلمي الحقيقي في وجه الباحث العربي؛ فليس في الوسط الثقافي العربي أيُّ حد– ولو أدنى– من المحاسبة أو التقييم أو التسآل» (مقدّمة الطبعة الأولى: ١٤).

وفي معرض الحديث عن الاهتمام المتزايد بالأدب المقارن في البلدان العربية يقول: «هناك خشية من أن تنقلب طاولة الأدب المقارن على أصحابها مثلما انقلبت طاولات أخرى كثيرة في الحياة العربية بسبب الإسراف في مراكمة الأطباق وعرض العضلات وخلط المقبّلات... . وتشهد الساحة الجامعية اليوم مقارنين جُدُدا يلوحون بسيف الاختصاص. منهم من تعب وعمل واجتهد، ومنهم من عاد من إيفاده خالي الوفاض حتى من لغة أجنبية يتقنها، ومنهم من وعد وباشر الإنتاج، ومنهم من أنكر وأرجأ، وإنهم ليظلّون جميعاً معقد الأمل. وهناك أيضا علة العلل وهي أننا جميعا نريد أدبا مقارنا بلا باحث ولا عُدّة. نريد ألا ندفع للبحث ضريبته ونريد مؤسساتنا لنا ألا نكلفها أية تكلفة معنوية أو مادية» (المصدر نفسه: ١٥).

وانظر إلى المؤلّف وهو يُعدّد بعض مشكلات الأدب المقارن: «ومشكلة الأدب المقارن أنه يحتاج إلى السقي لا إلى «البعل»، ويحتاج إلى كتب ودوريات وتسهيلات بحثية، واتصال حيّ بالعالم الخارجي، ومنبر مفتوح للحوار. وما أبعدَ كلَّ تلك الأمور عن جامعاتنا»(صص ١٥–١٦). وفي ما يتصل بضمور الدراسات المقارنة في الأدب العربي القديم يرى الخطيب أن اعتداد العرب الشديد بلغتهم وأدبهم جعل نشاطهم في حقل التبادل الأدبي أقلّ من نشاطهم في الحقول المعرفية الأخرى كالعلوم والفلسفة، بل«كان الدخيل لغةً وأدباً هو المحذور الّذي يخشاه الأدباء وأهل اللغة» (المصدر نفسه: ٧٩). وبالطبع مثل هذه المواقف تؤدّي إلى عدم نشوء الدراسات الأدبية المقارنة. وليس هذا وحسب، إذ إن هذا التيار من الاعتداد باللغة و الأدب عند العرب ما زال مستمرا وفاعلا في العصر الحاضر: «وحتى اليوم نجد رأيا عامّا لا يستريح إطلاقاً للمقارنات مع الآداب الأخرى وينكر موضوع التأثر العربي بالآداب الغربية أو يحاول التقليل من شأنه أو طمسه بدافع من الاعتداد الأدبي – اللغوي الّذي تقوّيه عادةً نزعة المحافظة الدينية أو القومية» (المصدر نفسه: ٨١).

ويقول أيضا: «قد عاد من الإيفاد في النصف الثاني من الثمانينات متخصصون شُبّان من مختلف الجامعات الأجنبية وحملوا معهم تباينات واتجاهات متضاربة، بسبب ضآلة البرنامج النظري الّذي درسوه في الجامعات غير الفرنسية واكتفاء كثيرين منهم بالرسائل التطبيقية دون تحضير جامعي مناسب» (المصدر نفسه: ٢٤٣).

ومنها نقده لاعتقاد العراقي صفاء خلوصي الّذي بأن العرب أول من درس الأدب المقارن: «المؤلّف يخلط بين وجود مادة خصبة للدراسة المقارنة في التراث العربي وكونِ العرب أولَ من درس الأدب المقارن... ومن المؤسف أن الكتابة العربية حتى اليوم لا تريد أن تتخلص من سيكلوجية المفاخرات التراثية» (المصدر نفسه: ٢٤٨).

وفي معرض كلامه على معاناة الروابط العربية للأدب المقارن وغياب الدعم الحكومي لها يقول في شجاعة علمية ملحوظة: «ويبدو أن معاناة هذه الروابط واحدة وهي ضعف الإمكانات وغيابُ الدعم من الحكومات والمؤسسات القُطرية والقومية لعدة أسباب في صدارتها الطبيعة العلمية الخالصة لهذه الروابط وبُعدها عن الجوانب السياسية والإعلامية الّتي تستدرّ التأييد والدعم» (المصدر نفسه: ٢٧٦).

ولدى حديثه عن كتاب «الأدب المقارن» للطاهر مكي يطرح الخطيبُ قضايا هامة تفيد جميع الدارسين في حقل الأدب عامةً والأدب المقارن خاصة، منها قوله: «وفي نهاية هذا السِفر المليء بالمعلومات يُريحُ المؤلّف نفسَه من كل الأوزار؛ فكل ما لا يمكن إدخاله في باب الأدب المقارن يُحال إلى الأدب العام ولاسيما دراسة الظواهر الأدبية العامة و المشابهات غير المستندة إلى العلاقات. وبذلك يسدل الستار على حل سعيد للمعضلة. و يبدو هذا الاتجاه غاية ما تستطيع المؤسسة الأكاديمية العربية تقديمه من إسهام في حلّ معضلة الأدب المقارن». (المصدر نفسه: ٢٩١).

ويختم المؤلّف كتابه بكلام دقيق عن الوضع الراهن للجامعات العربية وحال التأليف في الأقطار العربية، ويبدي عن أسفه لما يجد في الساحة المقارنية العربية من مؤلّفات تميل كل الميل نحو التبسيطية الشديدة وتقنع بإعداد أدب مقارن خال من أي تحد علمي ومن الأدب النظري الرفيع: «إذا كان الدرس العربي المقارن في الجامعات قد أقنع نفسه بعد تجارب حوالي نصف قرن، بأن يتحسس الطريق خطوةً خطوةً بعقلية الدارس غير المتخصص، بعيدا عن المصطلحات الغامضة والمعاظلات الكلامية والتعقيدات الفكرية، و قَنِع بتقديم وجبة مُلطَّفة للعقول الجامعية غير النهمة، فإن هذا الموقف المتكيّف المبني على واقعية مشوبة بالمرارة يشير بوضوح إلى أن الدرس المقارن بدأ يفقد تحديات الجدّة والإدهاش، وأخذ ينخرط في المصير نفسه الّذي آلت إليه الدراسات الجامعية الأخرى في قاعة المحاضرات وبين دفّتي الكتاب المقرر... والحديث هنا يدور حول الظاهرة التبسيطية العامة في التأليف الأدبي العربي المعاصر» (المصدر نفسه: ٢٩٧).

٢-٣-٢. المآخذ

والمآخذ على الكتاب قليلة جدا منها:

- تركيز المؤلّف على آراء الأمريكي هنرى رماك وبسطه الوافي لها، على حساب غيره من المقارنين الأمريكيين.

- غفلة المؤلّف عن الأدب الفارسي المقارن. فرغم تفاعل الأدبين العربي و الفارسي منذ قديم الزمان، ورغم أن المؤلّف نفسه يؤكد على أن«أقرب شيء إلى الأدب العربي من الناحية المقارنية هو الآداب الإسلامية» (المصدر نفسه: ٢٠٥) إلا أنه لم يُشر إلى ظهور الأدب المقارن في إيران.

- تشويهه لحقيقة تاريخية تتمثل في استخدامه لمصطلح «الخليج العربي» (المصدر نفسه: ٢٦٧)، بدلاً من التسمية الأصلية الصائبة تاريخيا: «الخليج الفارسي»! وكان بالأحرى بالخطيب أن يبتعد عن مثل هذا التعبير الّذي لا يتفق مع نضجه العلمي وحياده العلمي وإخلاصه.

- إهمال الحديث عن «التبعية» و«المثاقفة»: ووفقا لعزالدين المناصرة فإن «الدراسات الجامعية العربية في الأدب المقارن تتهرب عادة من دراسة فرعي «التبعية» و«المثاقفة» كمقدّمات أساسية لأيّ بحث مقارن». (المناصرة، ١٩٩٦: ٥٧)

٣. النتيجة

حسام الخطيب من كبار النقاد ومن العلامات البارزة في مسيرة الأدب المقارن في البلدان العربية؛ كما أنه من أكثر الباحثين العرب نشاطاً وإنتاجاً ومتابعةً للوقائع المتعلّقة بالأدب المقارن على الصعيدين العربى والعالمى؛ فقد أسهم في إدخال الأدب المقارن في

جامعة دمشق وعدد آخر من الجامعات العربية، وألف في جانبيه النظري والتطبيقي، ووسّع آفاق البحث فيه بالتعريف بالمدرسة الأمريكية وتابَعَ قضية الأدب المقارن متابعةً تخصصيةً تتصف بالحماسة والإخلاص العلمي الكبير.

مساهمات الخطيب في الحركة الثقافية والأدبية العربية كثيرة جداً، منها كتابه المعنون: *آفاق الأدب المقارن عربيّاً وعالميّاً*. والمؤلّف قدّم في هذا الكتاب نظرةً متكاملةً تعتمد على خبرته في مجالات التدريس والتأليف وحضور المؤتمرات العربية والدولية، وصحّح فيه بعض القضايا المتعلّقة بتاريخ الدراسات المقارنة في البلدان العربية. إذاً فمن الحق أن يقال: إن هذا الكتاب من أفضل الكتب العربية في مجاله. فهو إن دلّ على شيء فعلى إلمام المؤلّف الواسع بنظرية الأدب المقارن، ومدارسه، ومناهجه، ومُعضِلاته، ومؤتمراته، و ...، كما أنه يحاول أن يصل بين الأدب العربي المقارن والتجربة العالمية، ويُقدّم عَرَضاً للتجربة المعرفية الّتي باشرها المقارنون العرب منذ منتصف الثلاثينيات إلى مطلع التسعينيات؛ ثم يعمد إلى المقارنة الأدبية العربية ويصحّح تاريخه النظرى والتطبيقي، ويحاول صياغة وجهة نظر عربية في الأدب المقارن تنطوي على سعي جادّ ومخلص لخدمة الارتقاء بالأدب المقارن العربي، ويتناول بالدرس والنقد عدداً غير قليل من الكتب العربية الّتي عُنيت بالجانب النظري للأدب المقارن. والكتاب يكشف أيضا عن لغة التخصص عند صاحبه، وروحه الناقدة، واستقلالية شخصيته، وشدة إنصافه في الأحكام الّتي يُطلقها، وتواضعه العلمي، وإخلاصه للحقيقة العلمية، وتدقيقه البالغ وشهادته الشخصية المباشرة في تقاريره و... .

ويستفاد من مراجعة هذا الكتاب أن رصيد المقارنة العربية بلغ مقداراً يستحقّ الدراسة والتحليل من الناحيتين الكمّية والكيفية، غير أنه يمكن القول إن مثل هذه المحاولات الجادة والمحمودة، محدودة إلى الآن ولم تُؤتِ الثمار المرجوة منها نتيجةً طبيعيةً للظروف والشروط السائدة في البلدان العربية، لاسيما أن الدراسة الشاملة والعميقة في هذا المجال تقتضي برنامجا بعيد المدى تقوم على تنفيذه مؤسساتٌ وفِرَقٌ بحثيةٌ عديدةٌ.

٥. الهوامش

(١) حسام الخطيب ناقد ومقارن عربى مرموق. ولد عام ١٩٣٢ في طبريا بفلسطين ولكنه«ارتحل عنها مُضطراً مع أسرته إلى دمشق، ولما يبلغ السابعةَ عشرة بسبب نكبة العرب في فلسطين عام ١٩٤٨. وهكذا امتزجت في فتوته المبكرة روح مكانين عريقين: طبرية و دمشق... الياسمين والتاريخ» (أبوشاور alkanani.com). ثم تخرّج الخطيب في جامعة دمشق من قسم اللغة العربية، ثم قسم اللغة الإنكليزية، ثم دبلوم الاختصاص في التربية، وأخيرا نال الدكتوراة في جامعة كامبردج (http://arabswata.org) وقدم رسالة دكتوراه في موضوع مقارني عام ١٩٦٩. يعمل الآن خبيراً ثقافياً ومسؤولاً عن مركز الترجمة في المجلس الوطني للثقافة والفنون في الدوحة، وذلك بعد خدمة ٣٤ عاما في التدريس الجامعي بين دمشق وبيروت وصنعاء و الدوحة وغيرها. مساهماته لا تعدّ ولا تُحصَى في الحركة الثقافية والأدبية العربية، مع نشاطاته غير الاحترافية الّتي قام بها في مجال الترجمة الأدبية. وقد تُوّجت جهوده بحصوله على جائزة الملك فيصل العالمية عام ٢٠٠٢ .

يقول عنه عبدالنبي اصطيف: «والحقيقة أن أهم ما يميز جهد الدكتور الخطيب سعيه الدائب لتطوير أدائه البحثي. فهو باحث محكّك يعيد النظر فيما يكتب ويعود عليه بالتنقيح والتعديل والتصحيح، ولا يثنيه عن ذلك بريق الاسم أو غرور السُمعة أو الاطمئنان إلى قلة المحاسبة أو التقييم أو المساءلة، وغير ذلك مما بات شائعا على نحو فاجع في الحياة الثقافية العربية المعاصرة؛ فالحقيقة أولى بالاتباع» (اصطيف، ٢٠٠٧: ١٧٤).

ولعلّنا لا نبالغ إذا اعتبرنا حسام الخطيب أكبر المقارنين العرب وأكثرهم متابعةً للوقائع و حيازةً للمعلومات المتعلّقة بالأدب المقارن على الصعيدين العربي والدولي؛ فقد تابَعَ قضية الأدب المقارن متابعةً تخصصيةً تتصف بالحماسة المتوهّجة، سواء من خلال التدريس الجامعي في جامعات سوريا وبيروت وصنعاء وتعز وقطر، أم من خلال إسهاماته النظرية و التطبيقية الغزيرة، أم من خلال مشاركاته المتواصلة في مؤتمرات الأدب المقارن، ولاسيما في نشاطات الرابطة الدولية للأدب المقارن. فهو من العرب الأوائل الّذين التحقوا بالرابطة الدولية للأدب المقارن

(AILC)؛ فقد انتسب هو مع زميلين له إلى الرابطة عام ١٩٧٦. يقول الخطيب عن حماسته المنقطعة النظير للأدب المقارن: «ويعترف المؤلّف بأن الأدب المقارن بدأ يأخذ عنده صيغة قضية عُمر رفيعة و ليس مجرد تخصص أكاديمي و مهنة دنيوية يومية» (الخطيب، ١٩٩٩: المقدّمة: ١٤).

ويُرجع البعض السببَ في اهتمام الخطيب بالدراسة المقارنة للأدب إلى«تكوينه الثقافي الّذي جمع فيه بين الثقافتين العربية والغربية مستعيناً على ذلك بمعرفته للإنكليزية الّتي درسها ودرّسها لغةً وأدباً، وللفرنسية الّتي كانت لغته الثالثة، فضلا عن أسفاره العديدة الّتي شملت معظم بقاع الأرض وامتدت نحواً من أربعة عقود» (اصطيف، ٢٠٠٧: نفس الصفحة).

وقد وقف الخطيب نفسه على علم الأدب المقارن منذ أكثر من خمسين عاماً وزوّد المكتبة العربية بعشرات كتب ودراسات نقدية ومقارنية «شكّلت علاماتٍ فارقة، وتبقى مرجعا للدارسين والناقدين وللمبدعين أنفسهم قاصّين وروائيين» (ابوشاور alkanani.com). على سبيل المثال، لا الحصر، قد أورد الخطيب في معرض حديثه عن عالمية الأدب كثيرا من الأفكار و الآراء القيمة وخلص إلى نتائج عملية بخصوص عالمية الأدب العربى، بحيث يرى الدكتور عبود أن هذه النتائج لو أخذ العرب بها لتغيرت صورة عالمية أدبهم جذريا.

(٢) مكانة حسام الخطيب في الأدب المقارن في العالم العربي.

(٣) يرى عبده عبود أن الخطيب أعاد طباعة كتابه *الأدب المقارن* (جامعة دمشق، ١٩٨٢) ووضع له عنوانا جديدا هو: *آفاق الأدب المقارن عربيّاً و عالميّاً* (انظر: عبود، ١٩٩٩: ٧٢، الهامش ١). و به يُعرّض الخطيب في كلامه المشار إليه أعلاه.

المصادر و المراجع

اصطيف، عبدالنبي (٢٠٠٧). *العرب والأدب المقارن*. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

پروينى، خليل (٢٠١٠). نظريه ادبيّات تطبيقى اسلامى: گامى مهم در راستاى آسيب زدايى از ادبيّات تطبيقى. *مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها*، (١٤)، ٥٥-٨٠.

حديدى، جواد (١٣٥١). ادبيّات تطبيقى، پيدايش و گسترش آن. *مجله دانشكده ادبيّات وعلوم انسانى، مشهد، ٨* (۴)، ۶۸۵-۷۰۹.

حنون، عبدالمجيد (١٩٨۴). محاولة لتحديد مفهوم مصطلح الأدب المقارن. *أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١١٥-١٣٦.

الخطيب، حسام (١٩٩٩). *آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً*. الطبعة الثانية. دمشق: دارالفكر.

زينى‌وند، تورج (١٣٩٥). *به سوى نظريه ادبيّات تطبيقى اسلامى*. يار دانش.

زينى‌وند، تورج وروژين نادرى (١٣٩۴). جايگاه حسام الخطيب در ادبيّات تطبيقى جهان عرب. *مجلهٔ ادبيّات تطبيقى*، فرهنگستان زبان وادب فارسى، (١١)، ١٨٠-٢٢٠.

عامر، عطية (١٩٨٩). *دراسات فى الأدب المقارن*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

عبود، عبدة (١٩٩٩). *الأدب المقارن مشكلات وآفاق*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

علوش، سعيد (١٩٨٧). *مدارس الأدب المقارن*. بيروت، سوشبريس: المركز الثقافي العربي.

عناني، محمد زكريا وسعيدة محمد رمضان (١٩٨٨). *مدخل لدراسة الأدب المقارن*. القاهرة.

غزول، فِريال جَبورى (١٣٩٣). ادبيّات تطبيقى در جهان عرب. ترجمهٔ سحر غفارى. *مجلهٔ ادبيّات تطبيقى*، فرهنگستان زبان وادب فارسى، (٩)، ۴۹-۶۴.

مكي، الطاهر أحمد (١٩٨٧). *الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه*. القاهرة: دار المعارف.

المناصرة، عزالدين (١٩٩٦). *المثاقفة والنقد المقارن «منظور إشكالي»*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

هلال، محمد غنيمى (لا. تا). *الأدب المقارن*. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

المواقع الإلكترونية

أبوشاور، رشاد، *حسام الخطيب على عتبة الثمانين: مثقف أصيل ورائد في النّقد التطبيقي*.
http://rasseen.com/art.php?id=42e5d4526ed84a342bb7754dbb8ab21d75eefe6b

حوار مع د.حسام الخطيب: http://arabswata.org.

شاپـــای چـاپـی: ۶۵۱۵-۲۶۷۶
شاپای الکترونیکی: ۶۵۲۳-۲۶۷۶

کاوش‌نامهٔ ادبیات تطبیقی
https://jccl.razi.ac.ir/

مقالهٔ پژوهشی

کاوش‌نامهٔ ادبیّات تطبیقی (مطالعات تطبیقی عربی - فارسی)
دانشگاه رازی، دورهٔ یازدهم، شمارهٔ ۳ (پیاپی ۴۳)، پاییز ۱۴۰۰، صص. ۱۲۷-۱۴۱

کتاب *آفاق الأدب المقارن عربیّاً وعالمیّاً* در آینهٔ نقد و بررسی

هادی نظری منظم[۱]

دانشیار گروه زبان و ادبیّات عربی، دانشکدهٔ علوم انسانی، دانشگاه تربیت مدرّس، تهران، ایران

دریافت: ۱۳۹۷/۲/۳۱ **پذیرش:** ۱۳۹۸/۱۲/۱۸

چکیده

نظریهٔ ادبیّات تطبیقی، نظریهٔ نوینی است از آن رو که فلسفه آن بر مطالعهٔ ادبیّات در آن‌سوی مرزهای زبانی، فرهنگی و بین رشته‌ای مبتنی است. ادبیّات تطبیقی نخست در فرانسه و دیگر کشورهای غربی پدید آمد؛ آنگاه از نیمهٔ قرن بیستم به دانشگاه‌های جهان سوم درآمد. غنیمی هلال (د ۱۹۶۸) بنیان‌گذار ادبیّات تطبیقی علمی در کشوهای عربی است. بعدها ادبیّات تطبیقی در کشورهای عربی پژوهشگران بزرگی را شاهد بود که از آن جمله‌اند: طاهر مکی، سعید علوش، عزالدّین مناصره، حسام الخطیب و... . حسام الخطیب را می‌توان بزرگ‌ترین و پرتألیف‌ترین تطبیق‌گر عرب زبان دانست. وی همچنین تحوّلات ادبیّات تطبیقی جهان را بیش از سایر هم‌وطنان خویش رصد می‌کند و بیشترین اطّلاعات و مدارک را درخصوص ادبیّات تطبیقی در عرصه‌های جهانی و عربی دارد. این مقاله با روش توصیفی - تحلیلی و نقد شکلی و محتوایی می‌کوشد تا کتاب *آفاق الادب المقارن عربیّاً وعالمیّاً* را بررسی کند. خطیب در این کتاب نگرشی تکامل‌یافته و مبتنی بر تخصّص و تجربهٔ شخصی درزمینهٔ تدریس و تألیف و حضور در کنفرانس‌های عربی و بین‌المللی ارائه داده است. نیز به تصحیح مسائل مربوط به تاریخچهٔ ادبیّات تطبیقی در کشورهای عربی می‌پردازد و می‌کوشد تا میان ادبیّات تطبیقی عربی و تجربه‌های جهانی پیوند برقرار سازد. او به معرّفی تجربهٔ علمی و شناختی عرب‌ها از این دانش، از اواسط دههٔ سی قرن گذشته تا اوایل دههٔ نود می‌پردازد و می‌کوشد تا دیدگاهی عربی در این زمینه به‌دست دهد؛ دیدگاهی مشتمل بر تلاشی مجدّانه و خالصانه به‌منظور ارتقای ادبیّات تطبیقی عرب. در خاتمه نیز برخی کتاب‌های تئوری عربی را به بررسی و نقد می‌گذارد؛ بنابراین کتاب پیش‌گفته یکی از بهترین آثار عربی درزمینهٔ ادبیّات تطبیقی است.

واژگان کلیدی: ادبیّات تطبیقی، حسام الخطیب، آفاق الأدب المقارن عربیّاً و عالمیّاً.

۱. رایانامه: hadi.nazari@modares.ac.ir